بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ من المطالب العزيزة الغالية التي يرجُوها كلُّ مسلم لنفسه ويتمناها لأهله ووَلدِه وماله ويرجُوها لإخوانه المُسلمين: **(البرَكَة)**.

وهي مطلبٌ عظيمٌ رفيعٌ، وكُلٌّ يرجو أن تحلَّ عليه بركةٌ يسعَد بها في دُنياه وأخراه، ويهنَأ بها في معَاشِه ومعَاده ويوم يلقى ربَّه وسيِّده ومَوْلاه.

والبركة مِنَّة اللهِ على مَن شَاء مِن عِباده فهِيَ بِيَده سُبحانه وتعالى، إذْ أزِمَّة الأمُور كلِّها بيدهِ جلّ وعلا ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر]، وهو سبحانه الذي يُبارك مَن شاء، قال جلَّ وعلاَ فيما ذكره عن عيسى عليه السلام قال: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:31]، ولا تُنال إلا بطاعته عزَّ وجلَّ واتباع رضاه، والبُعْدِ عن عِصيانه ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف].

فبهذين ﴿ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ تُنال البركة، فلا يُحصِّلها العبدُ إلا بإيمانه بالله، ويأتي في مُقدِّمة ذلك: الإيمانُ بأصُول الإيمان العظام: **بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**. فكُلَّما عَمُر القلب بالإيمان تحقيقًا وتكميلاً وتتميمًا تنزَّلتْ عليه مِنَ البركة منًّا من الله وتفضّلا بحسب ذلك.

وبتقوى الله جلّ وعلا فِعلاً للأوامِر وتركًا للنَّواهي؛ إذ تقوى الله جلّ وعلا ليست قولاً يقوله الإنسان بلسانه أو دعوى يدَّعيها، وإنما حقيقتها: **(عَملٌ بطاعةِ اللهِ على نُورٍ مِنَ اللهِ رجَاءَ ثوابَ الله، وتركٌ لمعصيةِ اللهِ عَلى نُورٍ مِنَ الله خِيفَةَ عَذابِ الله)**.

فمن أراد البركة لنفسه وأهله وبيته وماله وولده: فليُقبل على الله عزَّ وجلَّ عابدًا مُطيعا وليعْتَن بذكرِه جلَّ وعلاَ حَمْدًا وتسبيحًا وتلاوة لكلامه، وليُحافِظ على الصَّلاة وكذَا عُمُوم الطّاعَات؛ كبرِّ الوَالدين، وصِلة الأرحام والإحسَان إلى النَّاس، وكذلكُم أكل الحلال واجتناب الحرام، وتجنُّب الآثام، والبُعد عن كُلِّ ما يسخط الله جلَّ وعلا.

فإنَّ المعاصي ممْحقةٌ للبركة، قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة:276]، وقال عليه الصلاة والسلام عن الحلف في البيع قال: «مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ» [صحيح البخاري:2087]، فالبركة تُمحَقُ بالكذب والغش وخداع الناس والمكر والتدليس والتلبيس، وتُنال بالصِّدق والوفاء والإحسان وحُسن المُعاملة وطيب الكلام وغير ذلك من أبواب الإحسان.

ومِمَّا تُنال به البركة: المحافظة على التبكير، فالبكُور بركَةٌ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «بُورِكَ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» [صحيح الجامع:2841]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا» [السلسلة الصحيحة:310] فالتبكير والغدو ومجاهدة النفس على حسن العمل مع تمام التوكل على الله وحسن الاعتماد عليه كل ذلك من أسباب نيل البركة من الله جلّ وعلا.

ومن أعظم ذلك: التوجه الصادق إلى الله الذي بيده البركة سبحانه بالدّعاء بأن يُبارك في الأهل والمال والولد، وهو سبحانه لا يَرُدُّ عبدًا دعَاه ولا يُخَيِّبُ مُؤمنًا نَاجَاهُ وفي الدُّعاء المَأثور: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا» [صحيح الأدب المفرد:491/ 630].

والله جلَّ وعلاَ جَعَل في الأزمنة والأمكنة بَرَكَةً؛ خصّها جلَّ وعلاَ بذلك وميّزها به، ففي الأزمنة رمضان شهرٌ مبارك وليلةُ القدر أبرك الليالي، وفي الأمكنة المسجد الحرام مكانٌ مُبارك، والله جلَّ وعلاَ قال عن المسجد الأقصى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:1] وعموم المساجد أماكن مباركة هي أحبّ البقاع إلى الله جل وعلا، والبركة في الأزمنة الفاضلة والأمكنة الفاضلة لا تُنال إلاَّ بطاعة الله فيها وفِعْل مَا أمرَ سُبحانه في ضوء شرعه وهدي رسوله المصطفى ﷺ.

ولكن عندما يغيب العِلم ويتوَافر الجهل في النَّاس تغيب عنهم حقيقةُ طلب البركة ووسيلة نيلها فتتحول إلى نوعٍ من المُمارسات الخاطئة والأعمال الجاهلية التي يفعلها بعض النَّاس ظنًا منهم أنَّها وسيلةٌ لاستجلاب البركة، روى الترمذي في «جامعه» وصحّحه عن أبي واقد الليثيّ رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحنُ حُدثاءُ عَهْدٍ بكُفرٍ، فَمررنا على سِدْرَة للمشركين -أي شجرة- يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وينوطون بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ -أي يُعَلِّقُونَ أسلحتهم- فقلنا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كما لهم ذاتُ أنواط فقال ﷺ: «الله أكبر» - وفي رواية قال: «سبحان الله» - «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:138] لَتَرْكَبُنَّ سَنَنًا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» [صحيح الترمذي:2180].

ولنتأمّل هذا الحديث العظيم في بيان هذا العمل المُنكر الذي كان عليه أهلُ الجاهلية في البقاع التي يتوهَّمون فيها بركةً أو يظنُّون أنَّها مصدرٌ ومنبعٌ لها، فهذه سِدرةٌ لهم ينُوطُون بها أسلحَتهم ويعكِفُون عندها ـ والعُكوف هو المكث الطويل رجاء نيل البركة، وكذلك تعليق الأسلحة لنيل البركة من جِهتها فوقع هؤلاء في ثلاثة أخطاء جِسام في باب البركة والتبرك:

الخطأ الأول: تعظيمهم لهذه السدرة تعظيما لا يليق إلا بالله.

والخطأ الثاني: عكوفهم عندها رجاء البركة من جهتها.

والخطأ الثالث: تعليق أسلحتهم بها لتنالهم بركتها.

فهذه الأخطاء والمُمارسات تنشأ عندما يكون الإنسان على جاهلية جهلاء وضلالة عمياء ولهذا اعتذر أبو واقد الليثي رضي الله عنه قال: **"كنا حدثاء عهد بكفر"** أي: نجهلُ تفاصِيل الإسلام وأحكامَ الشريعة ولذا طلبنا من النبي عليه الصلاة والسلام ما طلبنا، أمَّا مَنْ تَمكّن مِنَ التوحيد وعرف جوانبه على التمام والوفاء وعرف أسباب الشرك ووسائله فإنه لا يقول مثل هذا.

وبهذا نعلم أنَّ البركة لا تُنال إلاَّ من الله، ولا يُظفَر بها إلاَّ بطاعة الله ولُزُوم شَرعِه، لا أن يذهبَ الإنسانُ مذهبًا بعيدًا مُنحرفًا فاسِدًا في طلبه للبركة بالتوجُّه إلى بقاعٍ مُعيَّنةٍ إمَّا أن يعكف عندها أو أن يتمسَّح بها أو أن يأخُذ من تربتها أو نحو ذلك من الممارسات الجاهلية التي ليست هي سببًا لنيل البركة، بل هي سببٌ لمحقها لأنَّه شركٌ بالله وهو أعظمُ مَا تُمحَقُ به البركَة، لأنَّه أعظمُ الذُّنوب وأخطرها وأشنعها وأفظعها.

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يبارك لنا أجمعين في أسماعنا وأبصارنا وأزواجنا وذريتنا، وأن يعيذنا سبحانه من أسباب محق البركة إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

al-badr.net/muqolat/2502

إنَّ من الدعوات العظيمة النافعة التي كان النَّبِيُّ ﷺ يُلازمُ المحافظةَ عليها كلَّ صباح ما ثَبت في مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه من حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً**» [صحيح ابن ماجه:753].

ومن يتأمَّل هذا الدعاءَ العظيمَ يَجدُ أنَّ الإتيانَ به في هذا الوقت بعد صلاة الصبح في غاية المناسبة؛ لأنَّ الصبحَ هو بدايةُ اليوم ومُفتَتَحُه، والمسلمُ ليس له مَطمع في يومه إلاَّ تحصيل هذه الأهداف العظيمة والمقاصد الجليلة المذكورة في هذا الحديث، وهي العلمُ النافع، والرِّزق الطيِّب، والعمل المتقبَّل، وكأنَّه في افتتاحه ليومه بذكر هذه الأمور الثلاثة دون غيرها يُحدِّدُ أهدافَه ومقاصدَه في يومه، ولا ريب أنَّ هذا أجمعُ لقلب الإنسان وأضبط لسيره ومسلكه، بخلاف مَن يصبح دون أن يستشعر أهدافَه وغاياته ومقاصدَه التي يعزم على القيام بها في يومه، ونجد المُعتنين بالتربية والآداب يُوصُون بتحديد الأهداف في كلِّ عمل يقوم به الإنسان، وفي كلِّ سبيل يسلكه؛ ليكون ذلك أَدعَى لتحقيق أهدافه، وأسلمَ من التشتُّت والارتباك، وأضبطَ له في مساره وعمله، وما من شكٍّ أنَّ مَن يسيرُ وَفْقَ أهدافٍ محدَّدةٍ ومقاصدَ معيَّنةٍ أكملُ وأضبطُ وأسلمُ مِمَّن يسير دون تحديد أهداف ودون تعيين مقاصد.

والمسلمُ ليس له في يومه بأجمعه، بل ليس في أيامه كلِّها إلاَّ الطمع في تحصيل هذه الأهداف الثلاثة وتكميلها، ونيلها من أقرب وجه وأحسن طريق.

وعلى هذا فما أجملَ أن يُفتتح اليومُ بذكر هذه الأمور الثلاثة التي تحدد أهداف المسلم في يومه وتعيِّن غاياتِه ومقاصدَه.

وليس المسلم في إتيانه بهذا الدعاء في مفتتح يومه يقصد تحديد أهدافه فحسب، بل هو يتضَرَّعُ إلى ربِّه، ويلجأ إلى سيِّده ومولاه، بأن يَمُنَّ عليه بتحصيل هذه المقاصد العظيمة والأهداف النبيلة؛ إذ لا حول له ولا قوة، ولا قدرة عنده على جَلب نفع أو دَفع ضُرٍّ إلاَّ بإذن ربِّه سبحانه، فهو إليه يلجأ، وبه يستعين، وعليه يعتمد ويتوكل. فقول المسلم في كلِّ صباح «**اللَّهمَّ إني أسألك علمًا نافعا ورزقًا طيِّبًا، وعملاً متقبَّلاً**» هو استعانةٌ منه في صباحه وأوَّل يومه بربِّه سبحانه بأن ييسر له العسير، ويذلِّل له الصِّعابَ، ويعينه على تحقيق غاياته المباركة الحميدة.

كتاب فقه الأدعية والأذكار للشيخ عبدالرزاق البدر الجزء الثالث ص34، (ومن أذكار الصباح)

حقيقة البركة وبما تُنال

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

العلم الصحيح
الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح